

نظام الأرباع بخراسان من الفتح الإسلامي إلى القرن الثالث للهجرة

The Quarter System in Khorasan from the Islamic Conquest to the Third Century of Hijra

وليد بودانة*

جامعة الجليلي بونعامة - خميس مليانة (الجزائر)

Walid.boudana@univ-dbkm.dz

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2025/01/31	2025/01/20	2024/12/22

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تتبع التطور الذي طرأ على التقسيمات الإدارية لإقليم خراسان خلال المرحلة المبكرة من الفتح الإسلامي وحتى القرن الثالث الهجري ويركز بشكل خاص على نظام الأرباع الذي ورثته خراسان عن الفترة الساسانية واستمر تطبيقه خلال الفترة الأولى بعد الفتح الإسلامي.

سيتناول البحث تحليل النصوص الجغرافية والتاريخية العربية التي تطرقت لهذا التقسيم الإداري، مع التركيز على تحديد المدن الرئيسية لكل ربع وتحديد طبيعة التغيرات التي طرأت على هذا النظام خلال الفترة الزمنية المحددة. كما سيسعى البحث إلى مقارنة الروايات المختلفة حول التقسيم الإداري لخراسان بين الجغرافيين العرب، وتوضيح أسباب الاختلافات بينها، وذلك بهدف الوصول إلى صورة واضحة وشاملة عن التنظيم الإداري لخراسان خلال هذه الفترة.

الكلمات المفتاحية: خراسان؛ التقسيمات الإدارية؛ الأرباع.

Abstract:

This research aims to trace the development of the administrative divisions of Khorasan during the early stage of the Islamic conquest until the third century AH, and focuses in particular on the quarter system that Khorasan

inherited from the Sassanid period and continued to be applied during the first period after the Islamic conquest. The research will analyze the Arabic geographical and historical texts that addressed this administrative division, with a focus on identifying the main cities of each quarter and determining the nature of the changes that occurred in this system during the specified time. The research will also seek to compare the different narratives about the administrative division of Khorasan among Arab geographers, and clarify the reasons for the differences between them, with the aim of reaching a clear and comprehensive picture of the administrative organization of Khorasan during this period.

Key words: Khorasan, the administrative divisions, The Quarter System.

مقدمة:

حظي إقليم خراسان بأهمية استراتيجية بالغة لدى الأباطرة الساسانيين، حيث أولوا إدارته عناية فائقة بهدف بسط نفوذهم المحكم عليه. وقد تجلّى ذلك في حرصهم على تعيين الولاة عليه من أفراد أسرهم لا سيما من بين أبنائهم الذين كانوا يُرشحون لولاية العهد، وذلك بهدف تهيئتهم وتدريبهم على شؤون الحكم وإدارة الدولة.

عقب الفتح الإسلامي، حافظ إقليم خراسان على مكانته السياسية المتميزة، بل اكتسب بُعداً جديداً بوصفه منطلقاً للفتوحات الإسلامية في مناطق وسط آسيا. وشهد الإقليم بزوغ الدعوة العباسية التي انطلقت منه واشتد عودها فيه، مُساهمةً في تغيير مجرى التاريخ الإسلامي. كما كان مسرحاً للعديد من الحركات والثورات التي اندلعت ضد الخلافة الأموية ثم العباسية، ما يعكس أهميته السياسية وقوة تأثيره على مركز الخلافة وسلطتها.

وفي ضوء هذا السياق السياسي، وارتباط الشؤون السياسية بالتسيير الإداري، فإن هذه الورقة تسعى إلى دراسة النظام الإداري المتبع في إقليم خراسان خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى، مستعرضةً نصوص الجغرافيين العرب حول التقسيمات الإدارية للإقليم وتطورها.

01- إقليم خراسان (التسمية والحدود):

1.1 التسمية:

تعددت الروايات حول مدلول كلمة خراسان واشتقاقها اللغوي، وقد طغى الجانب الأسطوري على بعض منها إذ ينقل ابن الفقيه (ت365هـ/ 975م) عن دغفل النسابة¹ (ت60هـ/ 679م) قوله: "خرج خراسان وهيطل ابنا عالم بن سام بن نوح، عليهما السلام، لما تبلبلت الألسن² ببابل فنزل كل واحد منهما في البلد المنسوب إليه..."³ أي أن إقليمي خراسان وهيطل -ما وراء النهر- تُسبا إلى شخصين أقاما بهما وفق هذه الرواية.

وجاء في رواية أخرى أن خراسان مركبة من كلمتين "خر" وتعني كُـل و "آسان" التي تعني سهل، ليصبح المعنى كل سهلا أو كل بلا تعب،⁴ وفسرها أبو الفداء (ت732هـ/ 1331م) بأنها كُـل بالرفاهية.⁵

وهناك ترجمة أخرى للمقطعين السابقين جاء فيها أن "خُر" تعني الشمس و "آسان" يُقصد بها أصل الشيء ومكانه وبذلك يصير معناها مطلع الشمس،⁶ أو البلاد الشرقية كما ترجمها المستشرق البريطاني كي لسترنج.⁷ ويبدو أن هذا التفسير هو الأقرب إلى الصحة من بين الروايات المذكورة، ذلك أن عدداً من أسماء المدن بإيران⁸ كانت تحمل دلالات على واقعها الجغرافي والاقتصادي.⁹

1-2 حدود الإقليم:

لعل من أهم الصعوبات التي تواجه الباحث في جغرافية المشرق الإسلامي مشكلة تعيين الحدود بين أقاليمه، وذلك بسبب تداخلها وارتباطها بالتنظيمات الإدارية والأوضاع السياسية، إذ تتوسع وتتقلص حدود كل إقليم تبعاً للتغيرات الإدارية ولتعاقب الدويلات المستقلة وتوسعاتها على حساب بعضها.

كان إقليم خراسان في العصور الإسلامية الأولى يضم كل بلاد ما وراء النهر حتى أن ابن الفقيه (ت365هـ/ 975م) عبّر عن ذلك بتسميته لما وراء النهر بـ "خراسان العليا" وما دونه "خراسان السفلى"،¹⁰ ويذكر الحموي (ت626هـ/ 1228م) أن سبب ذلك كون بلاد ما وراء النهر كانت مضمومة إداريا لوالي خراسان.¹¹

غير أن حدود خراسان صارت أكثر وضوحا فيما بعد إذ أصبح نهر جيحون (أموداريا Amu-darya) يمثل الحدود الشمالية للإقليم،¹² وتحده خوارزم من جهة الشمال الغربي، أما من الجنوب فتحده سجستان وقوهستان،¹³ ومن جهة الشرق بلاد الهند¹⁴ حيث تفصل جبال الهندكوش بينهما،¹⁵ ومن الغرب جرجان والمفازة الكبرى.¹⁶

02- نظام الأرباع:

يذكر ابن خرداذبه (ت حوالي 300هـ/ 913م) أن خراسان في العصر الساساني كانت مقسمة إداريا إلى أربعة أقسام يحكم كل قسم منها مرزبان، وهؤلاء المرازبة تحت سلطة أصبهذهان باذوسبان وهذه الأقسام الأربعة هي:

- ربع مرو الشاهجان وأعمالها.

- ربع بلخ وطخارستان.

- ربع هراة وبوشنج وباذغيس وسجستان.

- ربع ما وراء النهر.¹⁷

لكن هذا التقسيم يثير لدينا بعض الاستفهامات، ذلك أن الإمبراطورية الفارسية في العهد الساساني لم تتعد حدودها نهر جيحون في أحسن الأحوال،¹⁸ ولم يحدث البتة أن فرض الساسانيون حكمهم على بلاد ما وراء النهر.¹⁹

كما أن ابن خرداذبه لم يذكر ربع نيسابور التي كانت مقرا لإدارة الإقليم زمن الساسانيين، والظاهر أنه استعاض عنها ببلاد ما وراء النهر، إضافة إلى تقديمه لمرو الشاهجان وجعلها هي

الربع الأول وذلك لكونها قسبة الإقليم من الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الطاهرية رغم أن حديثه عن هذا التقسيم في الفترة الساسانية كما أسلفنا، وهو ما يجعلنا نفترض أنه قد خلط بين التقسيم الإداري لخراسان في الفترة الساسانية وتقسيمها في الفترة التي عاصرها.

يبدو أن العرب قد واصلوا الاعتماد على نظام الأرباع بخراسان مع بداية استقرار الفتح الإسلامي بالإقليم، حيث يذكر خليفة بن خياط (ت 240هـ / 855م) في أحداث سنة 31هـ / 651م أن الوالي عبد الله بن عامر (ت 59هـ / 678م) أحرم من خراسان واستخلف عليها "قيس بن الهيثم السلمي ونافع بن خالد الطاحي وخليد بن عبد الله الحنفي وحاتم بن النعمان الباهلي". وورد عند يعقوبي (ت 284هـ / 897م) أن عبد الله بن عامر حين فتح خراسان صيّرَها أرباعاً فولى "قيس بن الهيثم السلمي على ربع، وراشد بن عمرو الجديد على ربع، وعمران بن الفضيل البرجمي على ربع، وعمرو بن مالك الخزاعي على ربع".²⁰

وينقل الطبري (ت 310هـ / 923م) عن سيف بن عمر (ت 180هـ / 796م) أن عبد الله بن عامر عندما أتم فتح خراسان فرقها بين "نفر ستة: الأحنف بن قيس على المروين، وحبيب بن قره اليربوعي على بلخ... وخالد بن عبد الله بن زهير على هراة، وأمير بن أحمر الليشكري على طوس، وقيس بن الهيثم السلمي على نيسابور... وعبد الله بن خازم".²¹

وضع سيف بن عمر هذا الحدث في السنة الثالثة من خلافة عثمان بن عفان (ت 35هـ / 656م)، وقد أخطأ في ذلك فالمعلوم أن خراسان فتحت بعد أكثر من ست سنوات من خلافته، كما أن هذا النص تنقصه المناطق التي أوكلت ولايتها إلى عبد الله بن خازم،²² إضافة إلى فصله طوس عن نيسابور وهو ما لا تؤيده باقي المصادر.

كل هذا جعل الأستاذ صالح العلي يفترض بأن هذا الفصل من أخطاء سيف بن عمر وأن اسم عبد الله بن خازم مقحم خطأ في النص وبالتالي تصبح خراسان مقسمة إلى أربعة أقسام: 1- المروين 2- بلخ 3- هراة 4- طوس ونيسابور،²³ وهو الأمر الذي يتفق مع نصي

ابن خياط واليعقوبي القائلين بأن عبد الله بن عامر قد صيّر خراسان أرباعاً مع ملاحظة أن النصوص الثلاثة تختلف في أسماء من وُلي إدارة هذه الأرباع.

وفي العهد الأموي يذكر البلاذري (ت279هـ/892م) أن معاوية بن أبي سفيان (ت64هـ/683م) ولى سنة 45هـ/665م زياد بن أبي سفيان (ت53هـ/672م) على البصرة وضم إليه خراسان فولى هذا الأخير عليها:

- أمير بن أحمر: مرو.

- حُلَيد بن عبد الله الحنفي: أبرشهر.

- قيس بن الهيثم: مرو الروذ، الطالقان، الفارياب.

- نافع بن خالد الطاحي: هراة، بادغيس، بوشنج، قادس.²⁴

يلاحظ على هذا النص أنه أغفل بلخ، كما أنه لم يجعل ما وراء النهر من أرباع خراسان ولعل ذلك يعود إلى أن العرب في هذه الفترة لم يسيطروا عليها بعد.²⁵

نقل ابن الفقيه والحموي نصاً منسوباً إلى البلاذري جاء فيه أن خراسان أربعة أرباع هي:

الربع الأول: ايرانشهر (وهي نيسابور)، قوهستان، الطبيين، هراة، بوشنج، بادغيس،

طوس.

الربع الثاني: مرو الشاهجان، سرخس، نسا، أبيورد، مرو الروذ، الطالقان، خوارزم، زم،

آمل.

الربع الثالث: الفارياب، الجوزجان، طخارستان العليا، خست، أندرابه، الباميان، بغلان،

والج، رستاق بنك، بدخشان، الترمذ، الصغانيان، طخارستان السفلى، خلم، سمنجان.

الربع الرابع ما وراء النهر: بخارى، الشاش، الطرارند، الصغد، الروبستان، أشروسنة،

سنام، قلعة المقنع، فرغانة، سمرقند.²⁶

وقد ورد هذا النص أيضاً عند المقدسي (ت حوالي 380هـ/990م) لكن بشكل مختصر

حيث اكتفى بذكر أهم المدن فقط.²⁷

يذكر الأستاذ العلى أنه لم يجد نص البلاذري الوارد أعلاه فى طبعة دي غويه لكتاب "فتوح البلدان" والى هى أساس كل الطبعات اللاحقة، كما أنه لم يجده فى المخطوط والمطبوع من كتاب أنساب الأشراف، غير أن وروده عند جغرافيين ثقات يؤكد صحته، الأمر الذى يقدم دليلا على أن الطبعة الحالية لفتوح البلدان بها نقص وتحتاج إلى إصلاح،²⁸ وما يدعم هذا الرأى وجود نص آخر منقول عن البلاذري عند ابن الفقيه عن كور طبرستان غير أننا لا نجده فى كتب البلاذري.²⁹

يمكن القول بأن نص البلاذري وصف أحوال خراسان فى القرنين الأول والثانى للهجرة، لكن هذه التقسيمات تغيرت مع مطلع القرن الثالث واستقرار أوضاع خراسان، لذلك علق الحموي على هذا النص قائلا: "وإنما ذكر البلاذري هذا لأن جميع ما ذكره من البلاد كان مضموما إلى خراسان، وكان اسم خراسان يحملها."³⁰ وعلق عليه المقدسي بقوله: "وهذا يخالف مذهبنا"،³¹ فالبلدانيون العرب فى القرن الثالث الهجري لم يسيروا إلى الأرباع كنظام إدارى قائم، ذلك أن نظام الكور قد حل محله ابتداءً من زمن الدولة الطاهرية.

خاتمة:

فى الختام يمكن القول أنه بالرغم من أن فتح إقليم خراسان كان عنوة وهو ما يتيح للفاحين العرب فرض رسومهم ونظمهم السياسية والإدارية إلا أنهم حافظوا على النظم الإدارية السائدة فيه حفاظا على استقرار الإقليم ولانشغالهم بتوسيع رقعة الدولة الإسلامية، لذا أبقوا نظام الأرباع الذى كان سائدا تقسيمات خراسان الإدارية.

بالعودة لنصوص المؤرخين والجغرافيين العرب عن تقسيمات خراسان الإدارية نجد أنها تختلف فيما بينها فى تحديد الأرباع والمدن التى تنتمى لكل ربع، وذلك راجع للتغيرات التى كانت تحدث فى هذه الأرباع ولأن كلا من هؤلاء يروى ما يجده فى زمانه.

- ¹ هو دغفل بن حنظلة الشيباني، من أشهر النسابة العرب، قيل أنه مات غرقاً أثناء قتال الخوارج. أنظر ترجمته عند ابن الأثير عز الدين: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج2، تح علي محمد معوض-عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994، ص ص200-202.
- ² تبلبلت الألسن: أي اختلطت اللغات واللهجات. أنظر الفارابي أبو إبراهيم اسحاق: **معجم ديوان الأدب**، ج3، تح أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، 2003، ص202؛ أحمد مختار عبد الحميد عمر: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، مج1، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص238.
- ³ ابن الفقيه أحمد بن محمد الهمداني: **كتاب البلدان**، تح يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، 1996، ص601؛ الحموي ياقوت: **معجم البلدان**، مج2، دار صادر، بيروت، 1977، ص350.
- ⁴ البكري أبو عبيد: **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج2، تح مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، د ت، ص489؛ الحموي: **المصدر السابق**، مج2، ص350؛ الحميري محمد بن عبد المنعم: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص214.
- ⁵ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي: **تقويم البلدان**، تح رينود-ماك كوكلين ديسلان، باريس، 1830، ص441.
- ⁶ البكري: **المصدر السابق**، ج2، ص ص489-490؛ الحموي: **المصدر السابق**، مج2، ص350؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص214.
- ⁷ لسترنج كي: **بلدان الخلافة الشرقية**، تر بشير فرنسيس-كوركييس عواد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص423.
- ⁸ إيران: أو إيرانشهر (بلاد إيران) اسم يجمع بلاد العراق وفارس والجنال وخراسان. أنظر الحموي: **المصدر السابق**، مج1، ص289.
- ⁹ الحديثي قحطان عبد الستار: **أرباع خراسان**، دار الحكمة، البصرة، 1990، ص16.
- ¹⁰ ابن الفقيه: **المصدر السابق**، ص332.
- ¹¹ الحموي: **المصدر السابق**، مج2، ص351.

¹² ذكر القزويني أن بلاد ما وراء النهر تحد خراسان من جهة الشرق. القزويني زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د ت، ص 398. والأصح أنها من جهة الشمال كما ذكرنا. أنظر الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم: المسالك والممالك، تح محمد جابر عبد العال الحيني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2004، ص 145؛ ابن حوقل النصبي: صورة الأرض، دار ومكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص 358، مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تح يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1999، ص 114؛ البكري أبو عبيد: المسالك والممالك، ج 1، تح أدريان فان ليفن-أندري فيري، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1992، ص 441؛ الحميري: المصدر السابق، ص 215.

¹³ الحديثي: المرجع السابق، ص 18. وقد أخطأ القزويني حين ذكر أن قوهستان هي الحد الغربي لخراسان. أنظر القزويني: المصدر السابق، ص 398.

¹⁴ الاصطخري: المصدر السابق، ص 145؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص 358، مجهول: المصدر السابق، ص 114؛ البكري: المسالك والممالك، ج 1، ص 441؛ الحموي: المصدر السابق، مج 2، ص 350؛ الحميري: المصدر السابق، ص 215.

¹⁵ لسترنج: المرجع السابق، ص 423.

¹⁶ الاصطخري: المصدر السابق، ص 145؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص 358، مجهول: المصدر السابق، ص 114؛ البكري: المسالك والممالك، ج 1، ص 441؛ الحموي: المصدر السابق، مج 2، ص 350؛ الحميري: المصدر السابق، ص 215.

¹⁷ ابن خرداذبه عبيد الله بن عبد الله: المسالك والممالك، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988، ص 31.

¹⁸ أرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، تر يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، د ت، ص 77؛ حسن بيرنيا: تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العصر الساساني، محمد نور الدين عبد المنعم-السباع محمد السباعي، ط 2، دار الثقافة، مصر، 1992، ص 263.

¹⁹ بارتولد فاسيلي فلاديميروفيتش: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، تر صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981، ص 301.

- ²⁰ اليعقوبي أحمد بن واضح: تاريخ اليعقوبي، مج2، تح عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2010، ص ص62-63.
- ²¹ الطبري محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ط2، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1971، ص266.
- ²² تذكر رواية أخرى أن عبد الله بن خازم قد ولي خراسان. أنظر المصدر نفسه، ج5، ص209.
- ²³ العلي صالح أحمد: تقسيمات خراسان الإدارية في العهود الإسلامية الأولى، مجلة كلية الآداب، مج2، ع14، جامعة بغداد، العراق، 1971، ص791.
- ²⁴ البلاذري: المصدر السابق، ص576؛ الطبري: المصدر السابق، ج5، ص224.
- ²⁵ العلي: المرجع السابق، ص791.
- ²⁶ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص615؛ الحموي: معجم البلدان، مج2، ص351.
- ²⁷ المقدسي محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحرير وتقديم شاعر العبي، دار السويدي، أبو ظبي، 2003، ص271.
- ²⁸ العلي: المرجع السابق، ص793.
- ²⁹ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص565.
- ³⁰ الحموي: معجم البلدان، مج2، ص351.
- ³¹ المقدسي: المصدر السابق، ص271.